

تفسير ابن كثير

يقول تعالى { قل } يا محمد لهؤلاء المشركين باه في إخلاص العبادة له والتوكل عليه { أغير إهأ أبغي ربا } أي أطلب ربا سواه { وهو رب كل شيء } يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري أي لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا إليه لأنه رب كل شيء وملكيه وله الخلق والأمر ففي هذه الآية الأمر بإخلاص التوكل كما تضمنت التي قبلها إخلاص العبادة { وحده لا شريك له وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرا في القرآن كقوله تعالى مرشدا لعباده أن يقولوا له { إياك نعبد وإياك نستعين } وقوله { فاعبده وتوكل عليه } وقوله { قل هو الرحمن آمنا به وعلىه توكلنا } وقوله { رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا } وأشباه ذلك من الآيات . وقوله تعالى { ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى } إخبار عن الواقع يوم القيمة في جراءه إهأ تعالى وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازى بآعمالها إن خيرا فخير وإن شرا فشر وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال { وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى } وقوله تعالى { فلا يخاف ظلما ولا هضما } قال علماء التفسير : أي فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم بأن ينقص من حسناته وقال تعالى { كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين } معناه كل نفس مرتهنة بعملها السيء إلا أصحاب اليمين فإنه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقرأ بها لهم كما قال في سورة الطور { والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء } أي الحقنا بهم ذريتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة وإن لم يكونوا قد شاركوه في الأعمال بل في أصل الإيمان وما ألتناهم أي أنقصنا أولئك السادة الرفقاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء بركرة أعمالهم بفضله ومنته ثم قال { كل امرئ بما كسب رهين } أي من شر وقوله { ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون } أي اعملوا على مكانكم إننا عاملون على ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه وينبئنا وإياكم بآعمالنا وأعمالكم وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا كقوله { قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون * قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم }